دير القديس أنبا مقار
برية شيهيت

مقالات قصيرة
عن
الروح القدس

الأب متى المسكين

كتاب: مقالات قصيرة عن الروح القدس.
المؤلف: الأب متى المسكين.
الطبعة الأولي:نُشرت بمجلة مرقس مابين عامي ١٩٧٠ و١٩٧٦م.
الطبعة الثانية:ضمن كتاب: الروح القدس الرب المحيي ١٩٨١، ٢٠٠١
الطبعات اللاحقة: ٢٠٠٢- ٢٠١٢
الطبعة السادسة: ٢٠١٩.
مطبعة دير القديس أنبا مقار - وادي النطرون.
ص.ب. ٢٧٨٠ القاهرة.
الناشر: دار مجلة مرقس ص.ب ٣١ شبرا
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٨٣/٤٥٦٢
رقم الإيداع الدولي: ISNB 977-240-140-1
جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للناشر.

يُطلب من:
دار مجلة مـــــرقس
القاهرة: ٢٨ شارع شبرا — تليفون ٢٥٧٧٠٦١٤
الإسكندرية: ٨ شارع جرين — محرم بك ت: ٤٩٥٢٧٤٠
أو من: مكتبة الدير
أو من خلال الموقع على الإنترنت:
www.stmacariusmonastery.org

المحتويات

صفحة

١ ـ أسبقية الروح	٥
٢ ـ رجاء الروح	٧
٣ ـ واقعية الروح	٩
٤ ـ تنازُل الروح	١١
٥ ـ توزيع الروح	١٣
٦ ـ إعلان الروح	١٦
٧ ـ تأثير الروح في العالم الدنيوي	١٨
٨ ـ غضب الروح	٢٠
٩ ـ مخاوف الروح وأخطاره	٢٢
١٠ ـ الروح القدس وإلهام الشجاعة للجندي في الجيش	٢٤
١١ ـ الجمال الهندسي للروح	٢٧
١٢ ـ رخاء الروح	٣٠
١٣ ـ أولوية الروح	٣٣
١٤ ـ الروح يشهد	٣٥
١٥ ـ الروح يكرز بالجمال	٣٨
١٦ ـ ميراث الروح	٤٠
١٧ ـ فيض الروح	٤٢
١٨ ـ سُكنى الروح	٤٥
١٩ ـ روح الله وبهجة الخلاص	٤٧

- ١ -
أسبقية الروح

■ «وروح الله يرفُّ على وجه المياه.»
(تك ١: ٢)

قبل أن يقول الله: «ليكن نور»، كان روح الله يرفُّ على وجه المياه. لقد كان الروح هو المفتاح الأول الذي انبعث منه صوتٌ في الكون وللنفس البشرية. لم يكن هناك فائدة من حضور النور، ما لم يكن الروح أولاً. فالنور لا يجعل وجه المياه سعيداً، ما لم ترفّ الحياة عليه.

إن النور هو في الخارج فقط، أما الروح فمكان راحته في الداخل حيث تنبعث السعادة من العمق. هكذا أيضاً من العبث أن تحيطني بالنور وعشب الحقل وطير السماء وسمك البحر، بل حتى ولو بلغت القمة في علاقتي مع إخوتي البشر الذين خُلقوا على صورة الله؛ فلن تكون هناك سعادة في أعماقي، ما لم يرفّ الروح على وجه نفسي.

إن ما يجعلني سعيداً ليس ما أحصل عليه، بل ما أكونه؛ وما أكونه أنا هو الروح!! إذن، فقد كان من الضرورة حضور الروح قبل كل هبات الله: قبل النور، وقبل الجَلَد، وقبل كل الخليقة، وقبل عشب الحقل. وكما أنه من الحسن أن يسبق فرحُ الحياة في القلب الفرحَ بالكون، هكذا قبل أن يقوم النور يجب أن يرفّ روح الله على وجه المياه.

أيها الروح الإلهي الذي سبق نسيمُك كلَّ الأشياء،
إنني، بجهل، أسعى لأقلب ترتيب أعمالك،
إنني أسأل عن الأشياء قبل أن أسأل عنك.
إنني قبل أن أطلبك، أسعى في طلب النور والشمس والقمر والنجوم والعشب الأخضر وطير السماء وحيوان الأرض ووجوه الناس.
لقد نسيتُ أن النور بدونك لا يكون، والحشائش لا تنمو، والطيور والحيوانات لا توجد.
تعالَ أنت بنفسك في قلبي قبل كل شيء، وعرِّف على وجه المياه.
لتُعطِ النور حقيقته ومعناه، وللحشائش قوتها ونفعها، وللطير والحيوان أُلفته وصُحبته معي.
تعالَ واجعلني أرى صورة الله التي في الإنسان، فأطلبها قبل أن أطلبه، وأحبها فأحبه، وأكرمها في كل وجه، فأجد الفرح والسلام.
فبدونك، أيام خليقتي هي أمسية حزينة، بدون صباح؛ ولكن عندما تتحرك على وجه المياه سوف يشرق في قلبي سبت الخلود الذي لا يغشاه ليل!

- ٢ -
رجاء الروح

■ **«لا يدين (لا يسكن) روحي في الإنسان إلى الأبد.»** (تك ٦:٣)

وإن كفَّ روح الله عن مؤازرة الإنسان عامة فليس دائماً، لأنه سيكون هناك سلام للروح في النهاية، إذ لا يمكن أن تدوم قوتان متضادتان!! لابد أن تنتصر واحدة وتصبح الكل في الكل. فهل يمكن أن تكون هي الجسد؟ أم تكون الروح؟

الطوفان يجيب مبدئياً على هذا السؤال. فكل جسد متمرِّد تحطَّم، وكل الشهوات الحيوانية غرقت مع ارتفاع ينابيع الغمر، وكل فجور العالم آنئذ دُفِن تحت الأمواج العاتية. وأخيراً، ساد الحب وتسلَّط ونجا الإيمان حاملاً الروح في فُلْك النفس.

أيتها الروح المجيدة التي لله، التي استُعلِنت وسط ظلام الفيضان، لقد كنتِ كحمامة مُبشِّرة بالسلام والراحة فوق المياه، ولكنكِ تخبرين عن راحة أعظم من تلك التي على جبال أرارات، عندما تحين الأوقات التي لا يكون فيها بحر ولا غمر ولا خوف ولا خطية.

إنكِ تخبرين عن صيف بلا عواصف، عن صباح مُشرق إلى الأبد

بلا سحاب، عن لحظاتٍ أبدية بلا خوف. لقد كان "قوس قزح"، الذي أُقيم كعهد وسط المياه، ذي السبعة الألوان، رمزاً لسبعة أرواح الله. فذاك كان وعداً بالانعتاق من عقوبة الجسد، أما أنت فلما أشرقت على الأردن، صرتَ ضماناً للانعتاق من الخطية إلى الأبد، أما كمال وعدك بالخلاص فسيتم حتماً عندما تتحقق الرؤيا في بَطْمُس.

• • •

يا روح الله، لماذا أنا في حرب معك؟ مع أنه ليس في الخليقة مَن يعصاك!!
تحدث أن الطبيعة كلها تطيع ناموسك الذي وضعتَه لها،
أما قلبي فقد عجز وحده أن يقول: "فلتكن مشيئتك"!
أنا الذي خلقتني لأكون معجزة الكون، وقفتُ وحدي وسط الخليقة كلها أتصارع معك! مع أني في أشد الحاجة أن أخضع لك وأذعن لتدبيرك.
أتوسّل إليك، أيها الروح القدس، روح المسيح، روح الآب!
اهزم إرادتي حتى ينتهي عصياني، واخضعْ قلبي لك حتى أسير وفق ناموسك.
وَحّد قصدي مع قصدك، حتى أتصالح مع كل شيء، فتعمل الأشياء كلها للخير لحياتي معك.
دعني أعرف الفرح، لكي أكون بغير شذوذ وسط الكون الحي،
فلا أتداخل وأفسد ترتيب عملك الذي صنعَتْه يداك المباركتان.
إن كل الأشياء سوف تمجدك معي، عندما أكفّ عن عصياني لناموسك.

✣ ✣ ✣

- ٣ -
واقعية الروح

■ **«فقال فرعون لعبيده: هل نجد مثل هذا رجلاً فيه روح الله؟»** (تك ٤١: ٣٨)

لقد كان فرعون عالمياً، فكيف يستطيع أن يحترم رجلاً كان ينتمي إلى الله، وإلى عِظَم الاتساع والأبدية؟

إن السبب في ذلك هو أن روح الله، كما الأبدية، يحتوي الساعة الحاضرة كجزء منها. فروح الذي له سلطان الأبدية الخالدة، له أيضاً بالضرورة تدبير الزمن الحاضر وكفاءته؛ وهو ظاهر كما في أمور الله، كذلك في أمور الناس.

إذا لم تكن ترى أبعد منك، فأنت لا تُناسب مصر، ولا تصلح لفرعون، ولا تنفع في المجاعة المُقبلة على البلاد. ولكن إن كنتَ، بالروح، ترى ما لا يُرى، فأنت رجل الساعة أكثر من هؤلاء الذين يدَّعون أنهم "رجال العصر".

والذي يريد أن يدفع العصر الذي يعيش فيه أمامه، يجب أن يسبقه بالرؤيا التي لا تخطئ، لأن العالم الحاضر يُضيء الآن بواسطة النور الآتي من الأبدية، المنعكس على القلوب الأمينة.

فيا روح المسيح، اجعلني نوراً للأرض التي أسكن فيها .
لقد تعودتُ أن أسألك من أجل أمور الحياة الحاضرة .
أتوسّل إليك أن تعدّني للحياة الأبدية،
حتى أكون نوراً للذين يطلبون شهادة الدهر الآتي،
وأصلح أن أُعطي مشورة نافعة لحياة الناس .

✠ ✠ ✠

- ٤ -
تنازُل الروح

■ **«وملأته من روح الله بالحكمة والفهم والمعرفة وكل صنعة، لاختراع مخترعات ليعمل في الذهب والفضة والنحاس.»** (خر ٣١:٣و٤)

عجيبة أن يمتلئ إنسان بالروح من أجل أعمال يدوية بسيطة! ويُلهَم بالحكمة والفهم وبكل معرفة، لا لشيء سوى أن يعمل في النحاس والحديد. إن هذا يبدو شيئاً تافهاً بسيطاً، فالكل يعتقد أن الرجل إنما يُعْطَى إلهاماً لكي يعيش بالروح أفضل من معيشة أهل هذا العالم. ولكن أن يمتلئ إنسان بالروح من أجل أمور عادية في هذه الحياة، ويؤتَى روح الحكمة، لكي يؤدِّي أشياء تبدو جميلة لعين الجسد وحسب، أَلاَ يعتبر هذا تنازُلاً عن علو مصدر الإلهام والحياة؟

كلاَّ، إن هذا صعودٌ بالإلهام، خفيٌّ. فمجد الروح هو في قدرته وسلطانه لإعلان نفسه، في إظهار ذاته في الأشياء الصغرى، كما في الكبرى. فالحكمة التي تلهم العقل، تلهم اليد والعين لمجد الله.

النحاس والحديد والخشب حينما يلمسه الروح في حِذْق الصناعة وحكمتها، يستطيع أن ينطق بمجد الله. إن جمال الله مُعلَن للعين

البسيطة في كل شيء، حتى وسط البشاعة والتشويه. وحينما يتقدَّس القلب بالروح، يستطيع أن يحسَّ بالسلام وسط العاصفة، ويلمح القوة من خلال الضعف، ويؤمن بالحياة ويراها وسط الموت.

• • •

فيا روح المسيح، الروح الذي وهب الحكمة بصنعة النحاس والحديد الذي في هذا العالم، أنا آتي إليك لكي أجد الله في كل ما أحتاج إليه.

إن ما أريده ليس العزلة عن العالم، بل سلطان الروح الذي يعمل في العالم، القدرة على القيام بالواجبات اليومية العادية.

من أجل هذا، ألهِمْني حكمة للأعمال الجسدية، حتى أستَعلِن الله في كل شيء.

اجعلني مناسباً لكل خدمة، طالما كل عمل يمكن أن يتخلله الروح.

ساعدني في تكريس كل ما أربحه، لخدمة الحب، ولنفع البشرية، ولإطلاق سراح مَن هم في عبودية الفكر بعيداً عنك، حتى أصنع لك أصدقاءَ بمال الظلم.

إن تجسُّد المسيح سوف يصبح كاملاً عندما تملأني، أيها الروح، لعمل النحاس والفضة وكل شيء.

✣ ✣ ✣

- ٥ -

توزيع الروح

■ **«فنزل الرب في سحابة وتكلّم معه وأخذ من الروح الذي عليه وجعل على السبعين رجلاً الشيوخ.»** (عدد١١:٢٥)

إن الرب يتكلّم عادةً في سحاب، أي يُعلن ذاته خلال الأوقات أو الأشياء، التي تُعتبر حاجزاً أو مانعاً عن الرؤيا.

هكذا تصبح أوقات حزني هي هي أوقات شركتي، ويصبح صمت الأرض، بل وهَجْوُها لي، حديثاً مشتركاً مع أغاني السماء.

هذه هي الميزة الكبرى لسحابتي، إنها تُبدِّد وحدتي، حينما أرى من خلالها الله. لقد كانت تبدو من قبل ضد سلامي وعزائي، حينما كنت أجهل صوت الله فيها، فكانت تخيفني وتدفعني بعيداً عن حقيقة نفسي. هذا هو طقس الرسالة التي تأتي خلال السحاب، أو خلال الصعاب، تأتي كرسالة من أجل البشرية. وحينما أُذعِن لها، تلبسني روح السلام، ولا أُمانع أو أرتاع حينما تأخذُ الروح الذي وضعته عليَّ، وتضعه على الآخرين!!

وحينما أُرحِّب بمواهب الآخرين، أشعر أن حِمْلي مشترك مع كل

الذين يعملون! وعندما أنقص ليزيد الآخرون، لا أكون أبداً صغيراً، وكلما كنت تحت السحابة صرت أقرب لجميع الناس، لأننا لا نتقابل جميعاً تحت أشعة الشمس، ولكننا نتقابل كلنا تحت سحاب الصعاب. فالمشقات التي نعانيها معاً تلهب طاقات الحب. إنها تحمل حياتي إلى حياتك، وأفكاري إلى أفكارك، وقلبي إلى قلبك. فالحب يجد دائماً مدخلاً خلال الحواجز التي أقامتها الصعوبات بين الإنسان وأخيه الإنسان، فتوحِّد روح داود بروح يوناثان.

• • •

يا ابن الإنسان، دَعْ صليبك يكون واسطتي لعبوري نحو أخي الإنسان.
دعني أتقابل تحت ظل سحابة حضورك، وجهاً لوجه مع نفس حبيبي، الذي يناصبني العداء.
أريد أن نرتبط كلانا بوحدانية الروح، شهادة لعملك،
أريد أن نتحد في سر عشائك الرباني، في سر آلامك المخفية.
لقد فشلنا أن نتحد تحت وحدانية الإخاء واليُسر، والمنفعة الكاذبة،
فاربطنا بصليبك، يا ابن الإنسان؛
وحّدنا بذبيحتك وتجرُّدك وفقرك وألمك، وَصِلْنا بواسطة سحابتك.
أحضر قلوبنا إلى حضرتك، فوق العواطف والأحاسيس الجسدية، بلمسة نعمتك، المشتعلة بلمسة صليبك، بالآلام التي أسلمتَ ذاتك لها على الصليب.
دعنا في أتون النار، ولكن ليس كل واحد بمفرده، إنما في زمالة الألم،

ثلاثةً ثلاثةً، حتى نرى الرابع بشبهك.
إنه استعلان لمجد الألم والعذاب، في هذا الدهر،
حينما يصيرا واسطة لتجمعنا في سحابة حضورك،
حينما يأخذ الروح من القوي ويُعطي الضعيف، بسخاء المحبة لمجد الكنيسة.

✝ ✝ ✝

- ٦ -
إعلان الروح

■ **«فلما حلَّت عليهم الروح تنبَّأوا، ولكنهم لم يزيدوا.»** (عدد ١١:٢٥)

+ «لما حلَّت عليهم الروح تنبَّأوا».

إن حلول الروح يفكُّ عقدة اللسان المربوط بعجز الخطيئة، ويُجلي الرؤيا أمام العين التي تعتَّمت بالشهوة.

إن أوقات الإعلانات والرؤى هي أوقات انفتاح الذهن. اصمت وانتظر بإيمان وأنت ترى الله.

هذا هو ناموس نظرة الروح الداخلية. أو لماذا رأى اسطفانوس السماء مفتوحة وابن الإنسان جالساً عن يمين الله؟ أليس ذلك بسبب أن الروح كان حالاً عليه؟

والروح وديع هادئ، كالحمامة، وفي الوداعة والهدوء تنظر العين ما لم تكن تراه!!

هناك مئات من الأشياء الروحية العجيبة تحيط بي، ومع هذا لا أستطيع أن أراها، إذا كان يعوزني الهدوء والوداعة. لماذا كانت هاجر تعاني البؤس والشقاء في الصحراء؟ وبئر الماء كان أمام عينيها مباشرة،

ومع ذلك تاهت عن رؤيتها؟ لم تكن إرادة النظر التي مَنعَتْها من الرؤية، ولكن حاجتها إلى حلول الروح!! أو بالحري إلى الهدوء والوداعة.

الحزن والكآبة يفسدان العين الجسدية، فما بالك بعين الروح؟ اليأس يُبدِّد الخيرات والنِّعَم من محيط الرؤيا، ويخفي منظر الله الواقف أمامنا. وعندما يحلُّ الروح، نرى ما لم نكن نراه، ولكن عندما نحاول أن نزيد الرؤيا تكفُّ وتتلاشى.

• • •

أيها الروح الذي يحلُّ في القلب، فترى العين ما لا يُرى، وينطق اللسان برجاء الخلاص،
إني أنتظرك، وأعدُّ قلبي لمجيئك كل يوم، وأُهيئ قلبي بالشكر مُقدَّماً، وأعدُّ لساني بالتسبيح.
تكلَّم، يا روح الله، بالسلام لنفسي، حتى أتيقظ للأنغام العذبة التي تعزف حولي بعجائب الله التي تحيط بي.
تكلَّم بالسلام لنفسي، حتى أستطيع في أحرج ساعات ظلمتي أن أرى السلَّم القائم بين الأرض والسماء، والملائكة آتية إليَّ من فوق.
تكلَّم، يا روح الله، بالسلام لنفسي، حتى أدرك في شدة حيرتي أن هناك سبعة آلاف مركبة حولي، تسجد لك في الخفاء، فأتنبَّأ برحمتك، التي تفوق عجز الإنسان.

✝ ✝ ✝

- ٧ -
تأثير الروح في العالم الدنيوي

■ **«ولما جاءوا إلى هناك، إلى جِبْعَة، إذا بزمرة من الأنبياء لقيته (شاول)، فحلَّ عليه روح الله فتنبَّأ في وسطهم.»** (١صم ١٠: ١٠)

+ «ولما جاءوا إلى هناك... إذا بزمرة من الأنبياء لقيته».

ما أعظم فعل الجماعة على النفس الضعيفة، وما أحلى اجتماع الإخوة في عين الروح. إذ لما اجتمعوا لم يكن من مانع لدى الروح لكي يحلَّ على هذه الزمرة، ويحلَّ أيضاً على شاول. هكذا تنحصر النفس الضعيفة في مجال الأقوياء فتقوى؛ وتتبارك الروح السقيمة وسط الكنيسة وتتقدس.

الروح لما يحلُّ يأخذ من القوي ويعطي الضعيف. فالضعيف يتشدَّد والقوي يزداد قوة!!

ما أغنى الروح وما أكثر اتضاعه، لأنه دائماً أبداً لا يُعطي من ذاته، فإنه لا يزال يأخذ من المسيح ويُعطينا. وها هو مستتر في الكنيسة، لا يعمل إلاَّ من خلال الوسائط المقدسة!!

ولكنه لا ينحصر داخل الكنيسة، فإنه يتابع القديسين أينما ساروا، وأينما حلُّوا، يُقدِّس لهم القفار والجبال، ويجعل من "جبعة" معبداً لله.

إنه ليس الجبل الذي يُقدِّس، ولا الصوت البشري هو الذي يحوِّل. فالأماكن التي تبدو لك مقدسة اليوم لم تكن مقدسة بالأمس، والتي كانت مقدسة بالأمس ليست مقدسة الآن. والكلمات التي تُدخِل إلى قلوبنا البهجة في المساء، ربما كانت بلا فاعلية في الصباح!! فالله يختار وسائطه المقدسة بنفسه، ويختار الأشياء الخاصة به، لكي يتقدَّس فيها ويُقدِّس بها مَن يشاء. وما على الإنسان إلاَّ أن يعدَّ قلبه دائماً ويميل بأُذنه، لعله يصيب في القفر ما لم يُصِبْه في القُدْس، ويسمع في اليأس ما لم يسمعه في أبهج ساعات العمر!!

• • •

يا روح المسيح، قدّس الدنيا التي أعيش في وسطها.
قدّس الجبل والوادي والصُّحبة وكل الجماعة، حيث أحيا كل يوم وأعمل.
اجعل أُذني تلتقط رسالتك وسط ضجيج هذا العالم، حتى أفرز صوتك الحلو من بين آلاف الأصوات التي أسمعها.
وافتح عيني، لأكتشف قداسة الناس حولي، فلا أُعدَم رؤية الأنبياء كل حين، إذ أجدها في إخوتي وأحبائي ورفقائي وكل الناس، أينما كانوا.
فقط، اكشف لي حضرتك في وسط الزمان والمكان، فينطلق لساني بالحديث عنك، وبتسبيحك وشكرك، في وقت مناسب وغير مناسب.

✣ ✣ ✣

- ٨ -
غضب الروح

■ **«فحلَّ روح الله على شاول عندما سمع هذا الكلام وحَمِيَ غضبه جداً.»** (١صم ١١:٦)

يوجد غضب بشري، ويوجد غضب إلهي. غضب الإنسان لا يصنع بر الله، ولا يوافق قصد مشيئته، لأنه من حركة النفس عندما تحقد وتثور لذاتها، ذلك لأنها تستاء من الألم.

الغضب المقدس يتفجَّر من الروح في القلب، أما غضب الإنسان فينبع من جرح يكون قد أصاب الذات.

عندما يحمى غضب الروح في قلب الإنسان، ينسى نفسه، ويطلب ما لله. وعندما يهيج القلب بالغضب المُفسد، ينسى الإنسان الله، وكل ما هو لله، ولا يذكر إلاَّ نفسه، وما أصاب كرامته.

عندما يغضب الله لنفسه، يهتف له الأبرار، لأنه مستحق كرامة ومجداً. وعندما يغضب الإنسان لنفسه، يبكي القديسون، لأن اسم الله يُهان!!

• • •

فيا روح المسيح، يا مَن أتيتَ لكي تقدّس كل غرائز طبيعتي لله، قدّس غضبي لك، ليُمجّدك، ويخدم برّك.

لقد أتيت لا لكي تهلك بل لتخلص.

فلا تطفئ شجاعتي، التي تدفعني للغضب المُفسِد، بل اشعلها بروحك لكي تنقاد إلى المتواضعين.

اسند غضبي، حتى لا يتحيز لنفسي أو "ليوم بشر"، واملك على تسرُّعي، حتى لا أحكم قبل الوقت، أو أدين، وأنا مدين.

لا تجعلني أغضب على خطيئة إنسان أو خطئه، وأنا واقع مثله تحت الحكم!!

أيقظ ضميري، يا روح الله، حتى لا أحزن على اليقطينة الذابلة، وأنسى المدينة الهالكة، فأغضب لتوافه الأمور، وأنسى عملك العظيم، وجسامة الخدمة!!

تكلّم في قلبي، يا روح الله، حينما تثور طبيعتي فيّ، حتى لا أنطق إلا بكلمات الصَّحْو واليقين، وكل ما ينبي الآخرين؛

وحينما تشعل غضبي على بيتك وأولادك ومقدّساتك وعبادتك وحقك، امنع نفسي من أن تنزل بمستوى الغيرة المقدسة، إلى مستوى الطين والتراب.

✠ ✠ ✠

- ٩ -
مخاوف الروح وأخطاره

يظن الجهلاء أن للروح القدس مخاوفَ وأخطاراً، ولكن ليس الروح هو الذي يُلقينا على الجبال؛ بل كبرياؤنا، ولا هو الذي يُسقطنا في حضيض الأودية؛ بل يأسنا وصغر نفوسنا.

فعلى الإنسان الذي يُصادق الروح القدس، أن يحذر من هذين الخطرين: خطر الزهو والاعتداد بالذات، وخطر اليأس وصغر النفس.

لأنه بينما يكون الروح صاعداً بنا إلى علو التأمل والصلاة، وبينما تنتابنا أفكار الزهو والخيلاء، فنسقط على شوامخ جبال الرؤى والتجلّيات والأحلام، حيث يفصلنا عن الواقع مخاطر النزول؛ فلا يمكن أن نعود إلى اتضاعنا السهل، إلاَّ بالمحن والانحدار تلو الانحدار!!

كذلك بينما يكون الروح حاملاً النفس في مركبته النارية الملتهبة، وقد احتواها بحرارة العبادة، والغيرة المتقدة، ثم يحدث أن تميل إلى اليأس والشك من صعودها وتتمسَّك برُبُط خطاياها، وتفقد رجاءها؛ حينئذ يتخلَّى عنها الروح، فتقع في حضيض الدنيا، وتلتصق بتراب الأرض، حيث يفصلها عن حقيقة الروح والحياة الأبدية هوَّة سحيقة، وبحر اليأس، الذي لا يمكن عبوره إلاَّ على دم المسيح!!

فيا روح الله، الذي أصعد إيليا إلى السماء على مركبته النارية،
أعطني اتضاع المسيح، الذي أصعده من تراب القبر إلى عرش الله.
حقّق فيَّ رجاء المسيح ووعده،
خُذ منه وأعطني، خُذ مما له وحصّني، لأن الصعود بالروح شاق شاق جداً،
لإنسان يحمل ثقل خطاياه.
إن كان العشار المبرَّر لم يستطع أن يرفع عينيه إلى السماء، فكيف
ترتفع روحي لتبلغ الله؟ وإن كان التلميذ الغيور صرخ أنه غير مستحق
لأن يقترب الرب إلى سفينته، فكيف أبلغ أنا حضرة القدير؟
وإن كان الصعود شاقاً بهذا المقدار، فاحتمال السقوط من بعد الصعود
أشق وأخطر.
فيا روح الله، أمّني ضد الزَّهْو والكبرياء.
الناس في العالم يؤمّنون حياتهم ضد الفقر والعوز والذلة، ولكن أمّني أنت
ضد الغِنَى والعظمة والكرامة.
أمّني ضد نفسي حتى لا تطلب العزة التي لله وحده.
أمّني ضد الارتفاع الخاطئ، لئلا أسقط، ويكون سقوطي عظيماً.
احملني في مركبتك الخفيفة، التي تلغي ثقلي، واحتويني بحرارتك التي
تعزلني عن العالم، فأرتفع حيث تشاء!

+ + +

- ١٠ -

الروح القدس
وإلهام الشجاعة للجندي في الجيش

■ **«فحلَّ الروح على عماساي رأس الثوالث. فقال: لك نحن يا داود، ومعك نحن يا ابن يسَّى. سلامٌ سلامٌ لك، وسلامٌ لمساعديك، لأن إلهك مُعينك. فقَبِلَهم داود وجعلهم رؤوس الجيوش.»** (١أي ١٢:١٨)

عماساي هذا كان ضابطاً كبيراً رئيساً على ثلاث فرق، حلَّ عليه روح الله، ودفعه لينضم إلى جيش داود لتثبيت مملكته، من بعد موت شاول، وذلك لقمع المتمردين على داود من الأسباط المتخاذلة التي كانت موالية لشاول.

والجديد في الأمر أن نعرض كيف يحل روح الله على جندي محارب؟ هل يمكن؟ ثم يلهمه الكلمة الشجاعة والخطة الناجحة؟

من هذه الحادثة نعلم أن أولاد الله، الله معهم، أينما كانوا، وأينما حلُّوا، حتى ولو قام عليهم جيش، أو ساروا في وسط وادٍ يُخيِّم عليه ظل الموت!!

وفرق بين جندي يستمد شجاعته من قساوة القلب ووحشية قوته، وبين جندي يستمد شجاعته من إلهام الروح، حيث ترتفع كفاءته ولياقته الحربية فوق كل قوة العدو، مهما كان سلاحه متفوِّقاً وفتَّاكاً! لأن روح الله حينما يُعطي الشجاعة، يُعطيها كالتزام، وكواجب، ينبعان من الإحساس بأن الدافع على الحرب صحيح، فيستمد الجندي يقين النصرة من الله، مع عمق السلام الداخلي، الذي يجعل الإنسان يرتفع فوق الأحداث، ويسخر من تعظُّم عدوه، وكثرة سلاحه، كما سخر الفتى داود من جليات الجبار، إذ بضربة واحدة بحصاة ملساء (زلطة)، من المقلاع الصغير (نِبْلة)، قضى داود على جليات، فخر جيوش الأعداء. إذن، فـ «لا بالقدرة ولا بالقوة بل بروحي قال رب الجنود.» (زك ٤:٦)

ولكن لكي نُميِّز الشجاعة التي يبثها الروح في قلب المحارب من الشجاعة التي تستثيرها الغرائز فيه، ينبغي أن نبحث معها عن السلام وعن الله وعن احترام الروابط. فشجاعة الروح لابد وأن تفيض في القلب سلاماً، وتلهم مواقع الله وتحرُّكاته معنا، وتزيد من حساسيتنا تجاه إخوتنا من بني الإنسان في كل مكان: «فحلَّ الروح... فقال: ... سلامٌ سلامٌ لك، وسلامٌ لمساعديك، لأن إلهك مُعينك».

فإذا نجح الروح في تلقيننا شجاعة القتال، مع توفير الروابط الإنسانية التي تربطنا بكافة الأجناس البشرية، تنقَّت الروح الحربية، وارتفعت أساليب القتال إلى مستوى النضال الشريف، من أجل القِيَم البشرية، والحرية والأخلاق.

فيا روح المسيح، الذي يستطيع أن يجعل الحرب وسيلة للنضال من أجل سمو الإنسان، وتدعيم الحرية، ونصرة الأخلاق؛ أعطني، وأعطِ كل جندي على خط النار مثل هذه الشجاعة الروحية.

وأسّس فيَّ، بالإلهام، أساليب القتال الشريف الذي لا يعرف الخوف، ولا يميل إلى التهرُّب من الواجب، كما غرسه الله في الوجود الإنساني؛ حتى بالجهاد والنضال الذي يفرضه الواجب علينا، نصفّي مصادر القوة الظالمة، ونقضي على التجبُّر والوحشية الآدمية، في كل صورها المكشوفة والمخادعة، التي سلبت الإنسان منذ البدء، وحتى اليوم، إحساسه بالإخاء والحب والسلام، وحَرَمته أغلى وأثمن عنصر في كيانه، ألا وهو الحرية.

وإن كنتَ، يا روح الله، تستطيع أن تجعل من شجاعة الحرب والقتال الدموي وسيلة لسمو الإنسان، فلا تحرمني من شجاعة الحرب والقتال، على مستوى النفس والإرادة تجاه الخطيئة، لأني إن عشتُ طاهراً لك، فسأكون درعاً مستتراً لأُمتي، أصدُّ عنها النكسة، وأفديها حتماً من الهزيمة، لأن «البر يرفع شأن الأُمة، وعار الشعوب الخطيئة.» (أم ١٤: ٣٤)

❖ ❖ ❖

- ١١ -
الجمال الهندسي للروح

■ **«وأعطى داودُ سليمانَ ابنه... مثال كل ما كان عنده بالروح لديار بيت الرب ولجميع المخادع حواليه ولخزائن بيت الله وخزائن الأقداس (من جهة هندسة المباني).»** (١أي ٢٨: ١١و١٢)

روح الله هو المختص بالإبداع الفني في الخليقة. فالآب يأمر، والابن يُنفِّذ، والروح يُبدع الجمال ويتقن! وفي النهاية تحدِّث السماء بمجد الله، والفَلَك يُخبر بعمل يديه.

ولولا روح الله الذي فينا، الذي هو روح الجمال والإبداع والتذوُّق الفني، ما استطعنا أن نرى في الخليقة أي جمال، بل ولا عرفنا أنه يوجد جمال البتة!! فالروح الذي استطاع أن يُعبِّر عن مجد الله، بواسطة الإبداع والإتقان للخلائق في السماء والأرض، عاد واستقر في روح الإنسان، فألهمه اكتشاف الجمال فيها، الذي هو لمسة يديه، وبالتالي ألهمه معرفة القدير: «لأن أموره غير المنظورة تُرَى منذ خلق العالم مُدْرَكةً بالمصنوعات، قدرته السرمدية ولاهوته، حتى إنهم بلا

عذر.» (رو ١: ٢٠)

وهكذا صار الجمال الهندسي لروح الله واسطة لمعرفة القدير. فالجمال وحي وإلهام؛ وإن أحسن الإنسان تقبُّله واستخدامه، دخل في مجال الرؤيا الكاشفة لمجد الله وحكمته!!

وقد أعطى الله الإنسان في صميم خلقته وكجزء من نفخة روحه فيه؛ هذا الإحساس الجمالي، والتذوُّق الفني والهندسي، كنعمة عامة، وكمدخل للتعرُّف على الله، واستقراء وجوده في الخليقة، وبالتالي في نفسه.

والإنسان أول ما عبَّر بالإلهام عن الله، بأعمال يديه، عبَّر بالفن الهندسي. فالأهرامات تُعتبر أول مرحلة من التعبير الإلهامي عن اللاهوت ـ ممثَّلاً في فكرة الخلود ـ الذي يحسه الإنسان في أعماقه، وقد صاغ الإنسان، بالأهرامات، تعبيره عن الله، بالضخامة الهندسية، وبأكثر ما يمكن من المادة، وبآلاف آلاف الأطنان، ليفصح عن إحساسه بعِظَم الله وضخامته.

وفي المرحلة التي تليها من الإلهام، انتقل الإنسان في تعبيره عن الله، من الضخامة الهندسية إلى الدقة الجمالية، فدخل في مرحلة النحت، نحت التماثيل الدقيقة والجميلة. فبكمية من المادة، أقل بكثير جداً من الأهرامات، ربما بطنٍ واحد أو أقل، استطاع الإنسان أن يُجسِّد إحساسه باللاهوت، مستخدماً إحساسه الفني الدقيق، ليفصح عن جمال الله وانسجامه اللانهائي.

وفي الدرجة التي تليها من الإلهام، انتقل الإنسان من مرحلة النحت

إلى مرحلة التصوير بالألوان. وهنا بعدَّة جرامات قليلة من المادة، استطاع أن يُعبِّر عن اللاهوت في أروع أحاسيس الحنان والطهارة.

ومن عصر الإلهام بالصورة، انتقل الإنسان إلى عصر الإلهام بالموسيقى، حيث بالحركة الآلية واختلاف الأصوات، استطاع أن يُعبِّر عن إحساسه بالله بواسطة النغم الجميل، باللحن المؤثِّر، الذي يبلغ بالشعور حتى أعماق الإحساس بالله.

ومع عصر الموسيقى، انفتح إلهام الإنسان إلى الترتيل، حيث اكتشف في حنجرته وفي صدره أعظم واسطة يُعبِّر بها عن إحساسه بالله. وهنا وبدون مادة أو أي حركة آلية ــ بالصلاة ــ وصل الإنسان إلى آخر درجة للتعبير عن الله!

• • •

فيا روح المسيح، الذي بثَّ في الإنسان، في كل العصور، أن يُعبِّر عن وجودك في الخليقة وفي الإنسان، ألهمني أنا أيضاً الواسطة، التي أُعبِّر بها عن إحساسي بك، وأن أحسك وأراك في كل هيكل، في كل جمال، في كل وجه، في كل صورة، في كل لحن، في كل صلاة؛ حتى حينما أراك وأحبك في كل خليقة، وفي كل إنسان، يصير كل شيء وكل جمال وكل جسد طاهراً في عيني، وواسطة لينطلق فمي بالتسبيح لقدرتك الفائقة، وجمالك المبدع، ووجودك في كل وجود!!

✝ ✝ ✝

- ١٢ -

رخاء الروح

■ **«وكان روح الله على عزريا بن عوديد. فخرج للقاء آسا وقال له: اسمعوا لي يا آسا وجميع يهوذا وبنيامين. الرب معكم مـا كنتم معه.»**
(٢أي ١٥: ١و٢)

ليس الله موجوداً فقط، بل هو أيضاً الوجود ذاته، الوجود الكلّي، الذي يستمد منه كل كائن وجوده. ويستحيل أن يوجد شيء ما بدون الله. لذلك ما أسهل أن نكون مع الله، لأن كياننا مرتبط به دائماً، وفي كل لحظة، ارتباطاً صميمياً؛ وما أسهل أن نطلب الله فنجده، لأنه موجود في صميم وجودنا. ففي اللحظة التي نشخص إليه في أعماقنا، حتماً نجده.

كما أنه مستحيل أن نجد الله خارج أنفسنا، أي خارج وجودنا، وعبثاً نطلبه، أو نفتش عليه في غير قلبنا.

ولكن كيف نجد الله، ونبقى معه؟

حينما نسلّم له كل عواطفنا وحبنا، حينئذ نتواجه في الحال مع عطفه وحبه.

حينما نسلّم له كل قلبنا، نبدأ نحس بقلبه.

حينما نسلِّم له العين ثم الأُذن ثم اللسان، يبدأ شخصه يتصوَّر في إحساسنا، ويبدأ صوته يرن في أعماقنا، ويوقظ ذهننا، ويبدأ لساننا يتلذَّذ بكلامه، ويتعوَّد عليه، ويلتقطه من وسط آلاف الكلمات.

وباختصار، حينما نسلِّم كياننا كله لله، حينئذٍ، وحينئذٍ فقط، نجده ونحسه، لأن عملية تسليم الكيان لله هي، في حقيقتها، انفتاح على الله، الذي تستمد منه النفس كيانها. فإذا انفتحت النفس على الله، وَجَدَته، وأحسَّته، وتعرَّفت عليه. أما إذا أنكرت النفس الله، أو أهملت السعي في طلبه، أو تلاهت عن التشوُّق إليه، انغلقت على ذاتها، فلا تعود تحس إلاَّ بنفسها، ومهما حاولت البحث عن الله بالفكر والبرهان، فلن تجده.

فكما أن العين تصاب بالعمى الكلِّي، حينما ترفض أن تسلِّم ذاتها للنور وتنفتح عليه باستمرار، فيصبح النور غير موجود بالنسبة لها؛ كذلك النفس التي ترفض تسليم ذاتها لله، مصدر وجودها، تسليماً خاضعاً مذعناً وباستمرار، أو تفقد الشوق للوجود معه، فإنها تفقد إحساسها بوجود الله قليلاً قليلاً، حتى تصطدم في النهاية بالحقيقة المرعبة: إن الله غير موجود بالنسبة لها!!

• • •

فيا روح الله، الذي كشف هذه الحقيقة العظمى لعزريا بن عوديد منذ آلاف السنين، أتوسل إليك أن تكشف هذا السر لي، ولقارئ هذه السطور، لكي نعلم علم اليقين:

إن الله موجود فقط لمن يطلبه،
وإنه يكون فقط مع الذي يكون معه،
وإن ما من وسيلة قط للتعرُّف على صفات الله، إلاَّ بالحب ! !
وإنَّ ترك الله وإهماله من القلب، هو الطريق الواسع، المؤدّي إلى غياب الله عن الرؤيا، ثم إلى إنكاره.
وإذ علمنا هذه الحقيقة، نتوسل إليك، يا روح الله، أن تلهمنا الوسيلة تلو الوسيلة، لطلب الله على الدوام، من كل قلبنا، والالتصاق به باجتهاد لا يكلّ، حتى يصبح وجود الله حقيقة حياتنا الأولى والعظمى، وحتى لا نكتفي ببرهان وجود الله، بل نتلذذ ونسعد بهذا الوجود في حياتنا، كلما استُعلِن لنا.

- ١٣ -
أولوية الروح

■ **«وأعطيتهم روحك الصالح لتعليمهم، ولم تمنع مَنَّكَ عن أفواههم، وأعطيتهم ماءً لعطشهم.»** (نح ٩: ٢٠)

الروح الصالح أولاً، ثم المن، ثم الماء. هكذا يعضد الله الإنسانَ في مسيرة غربته على الأرض. وهكذا ينبِّه المسيح قلبنا أن نطلب كل يوم مشيئة الله ومعرفته قبل خبز الكفاف!! لأنه إن كانت روحنا هزيلة فينا، فمن العبث أن نشدِّد الجسد. وإن كان الصلاح يعوزنا، فباطلٌ هو الأَكل وباطل يكون الشبع.

أما مجد الإنسان ففي معرفة الله وصلاح روحه، لا في قوة جسده أو وفرة طعامه وشرابه. فإذا امتلأ الإنسان من معرفة الله وروحه الصالح، فوجهه سيلمع، ولو من كسرة خبز!

هكذا شهد كل عبيد نبوخذناصَّر للفتى دانيال، الذي صلَّى وصام عن أطايب الملك، فتحوَّلت صلاته إلى فهم وحكمة، وتحوَّل صومه إلى نضارة وقوة.

• • •

فيا روح الله الصالح، يا مَن ملأت قلب دانيال فهماً وحكمة، وسندت جسده في الجوع، ومسحته بالقوة؛

أعطني أن لا أرتبك من أجل خبز الجسد وأعوازه، بل أولاً أطلب ملكوت الله وبره.

هَبْني أن أهيم بقوة صلاحك، فلا أيأس من عوز خبزي أو ضعف جسدي، لأن قوتك تُشدّد ضعفي، بل وستقيمني يوماً ما من الموت. أما جسدي فكعشب الأرض يذبل، ونضارة جسدي كزهر العشب الذي تلفحه الشمس، فيسقط ولا يقوم.

يا روح الله الصالح، يا مَن لم تمنع المن عن إسرائيل الجائع المتذمّر، ثم غرّمته ثمن شهوته مضاعفاً؛

أتوسّل إليك أن تعلمني، بصلاحك، أنه لا فائدة من شبعي وملئي وازدیادي، طالما لم يشبع قلبي منك، وتمتلئ روحي من حبك وصلاحك.

علّمني، علّمني، علّمني، أن مغانم الدنيا كلها بدونك خسارة في خسارة.

* * *

- ١٤ -
الروح يشهد

■ **«احتملتهم سنين كثيرة وأَشهدتَ عليهم بروحك عن يد أنبيائك.»** (نح ٩: ٣٠)

يا لصبر الله! ويا لاحتمال الله! لخطايانا الكثيرة واعوجاج سيرتنا.

يتأنَّى علينا برأفات كثيرة سنين كثيرة، يُرسل لنا كل صباح مَن ينبِّهنا أو يتنبَّأ لنا، ولا يدعنا ننام إلاَّ وينخس ضمائرنا، بكتاب أو بكلمة عابرة.

كل ذلك برفق دون أن يجرح أو يفضح، ودون أن يُهدِّد ويتوعد، بل كمجرد شاهد نصوح، لعلنا نجعل لاستهتارنا حدًّا، ونقوم فنلوم أنفسنا ونوقظ إرادتنا.

ولكننا لا نعبأ بلطف الله ولا نُقيم وزناً لنُصح الروح لنا، بل نسوِّف ونسوِّف، ونتمادى حتى يتبدَّد خوف الله من قلبنا، فينقطع رجاء الله فينا، وحينئذ لا يعود روح الله يعمل بعد كمنبِّه أو مُذكِّر؛ بل ويكفّ عن الملامة والتأنيب، ويقف منحصراً فينا شاهداً علينا، بلا انقطاع، حتى ليكاد أنينه يصم آذان قلبنا، ولكن الخطيئة تبلِّد الإحساس وتخدِّر الضمير؛ فيمر الصباح وليس مُعكِّر، ويمر المساء

ولا شيء يؤذي، وتمر الأسابيع تفرُّ كعربات القطار، وتعبر السنة برمَّتها، والضمير يستمرئ حياة الانحلال والتعدِّي، ولا يكاد يشعر بالخطية، والخطية بدون الروح القدس يصبح تعاطيها سهلاً كالماء.

ولكن، واحسرتاه! كل ذلك والروح القدس منقلب على النفس داخلها، يُسجِّل عليها درجة اعوجاجها أولاً بأول، ويزن ثقل انجذابها لشهوات التراب، ويقيس مسافة تباعدها عن الله مصدر خلاصها وحياتها. فإذا بلغت إلى الدرجة الحرجة، وانحطَّت إلى المستوى الذي لا قيام منه، وجمحت إلى الحد الذي لا عودة بعده، يبدأ قضاء الله.

• • •

ولكن، يا روح الله، أنا لا أزال أطلب وجهك،
لا أزال أترجى رحمتك،
فلا تطوي صفحة الحب هكذا سريعاً،
لأنه لا يزال عندي كلام لك،
وعندي توبة وندامة،
وعندي دموع،
وعندي صلاة وصلاة، وأصوام.
تأنَّى قليلاً، ولا تختم على أيام الرفق واللطف والوداد.
أنا لستُ كفواً لغضبك، ولا حملاً لأشهادك وموازينك وقلمك.
أصرخ إليك لا تتعجَّل،
كُنْ لي ضميناً عند نفسك.

وإن انحنت بالإثم وعلى الإثم نفسي،
فاستقامتها بين أصابعك.
وإن انحدرتُ حتى الهاوية،
فيدك ترفعني إلى العلو، إلى السماء، لأني لا أطيق سقوطي.
وإن تباعدتُ عنك بإرادتي،
فأين أهرب من روحك؟
اجذبني، فأعود سريعاً،
لأن بُعدي لا يشفيه إلا قُربك!!

* * *

- ١٥ -
الروح يكرز بالجمال

■ **«بروحه زيَّن السموات»**
(أي ٢٦:١٣ ـ سبعينية)

لا يوجد شيء يضيء من ذاته. إن بهاء كل شيء هو من روح الله! وروح الله هو روح الحب والفداء، والفداء هو مركز بهاء الكون!

وإن كان نجم يمتاز عن نجم في المجد، لكن لا يستطيع الواحد أن يقول للآخر: «لا حاجة لي إليك» (١كو ١٢:٢١)، فجمال الكون يعتمد على جمال كل فرد فيه! وكل فرد يستمد جماله من روح الله! آه لو علم ذلك الإنسان!

وحتى هذا القانون الذي نسميه الجاذبية الأرضية، ليس سوى علامة ابن الإنسان في السماء! حيث مركز الحب الإلهي أصل الجاذبية وجوهرها! وهكذا كل جُرم في الكون يستحيل أن يكون مركزاً لنفسه، وكل العوالم يحتاج كل واحد منها أن يكون جزءاً في مركز الآخر. وكما أن الآب، أعين الكل تترجَّاه، وهو يعطيهم طعامهم في حينه؛ هكذا يعتني الروح أن يوزِّع القوة في السماء ولا يستأثر أحد بسلطانه لنفسه! فالسلطان الذي زيَّن السموات هو من روح ذاك الذي جعل الكل أعضاءً في جسده.

فيا ابن الله يا مَن يُحصي عدد النجوم، وقد أعطاها أسماءً بحسب زينتها، عرّفني باسمي واسم أخي الذي نقشته على كفّك.

وامنحني أن أرى في وجوه نجوم السماء صورة للوحدة العظمى التي تنتظرنا معك في الأعالي، حينما نصبح كلنا أعضاءً فيك.

يا مَن السموات تتحدث بمجدك، افتح شفتيَّ، لأنطق معها بتسبحتك، فليس مجدك مجد أضواء آتية من نجوم بعيدة، أو مِزاج ألوان وأطياف وشموس، أو فكرة عن نسَب وأبعاد شاسعة، فكل هذا مجد محصور.

أما مجدك فهو مجد الروح، مجد الفداء والذبيحة، التي الخليقة كلها تئن وتتمخض معاً، تنتظر استعلانها، عندما يُشرق مجد الآب في وجه يسوع المسيح، ببهاء الروح، يوم مجيئه العظيم الذي صار على الأبواب.

يا ابن الله، ألهمني أن أستشف من وراء زينة السموات عِظَم اهتمامك بي، ورجاء وعد مجيئك.

علّمني أن عجائب السماء لا تُستَجلَى إلا من خلال عجيبة صليبك.

والجمال، كل الجمال، الذي في الطبيعة، لا منظر له إلا في سر الجلجثة.

وكما حزنت الشمس وأظلمت السموات، يوم عار صلبوتك، لابد وأن تفرح الدنيا كلها وتتهلل في مجد مجيئك.

نعم، لأنه كما في السماء كذلك يكون على الأرض، مجد واحد، وبهاء واحد، نستمده من قلبك المطعون من أجل الجميع. وإن عرّفتني ذلك، فسأعرف أن روحك هو الذي زيّن السموات من أجلي.

* * *

- ١٦ -
ميراث الروح

■ **«روح الله صنعني، ونسمة القدير أحيتني.»** (أي ٣٣:٤)

إن كان واحد يفتخر بميراث أجداده الصالحين، ويفرح ويرتاح لسلسلة نَسَبه إن كانوا قديسين، فلا يزال أمامه أن يبرهن للعالم أنه جدير بهذا الميراث، وأهل لهذا النَسَب.

نحن من روح الله وقد صنعنا وتبنَّانا، فأبونا روح، وقد استقر في خلقتنا، وبه نحيا ونتنفس. فروح الله موجود وماكث فينا؛ إن طلبناه، يوجد لنا ونعرفه ونحسه؛ وإن تركناه، يتركنا ولا نعود نراه أو نعرفه، مع أنه يظل يحيينا. إن كرَّمناه، يكرمنا ويشهد لنا؛ وإن احتقرناه، نصغر جداً، لأنه ينكرنا.

إن كنا قد ورثنا الجسد من آدم، فورثنا به الخطيئة والضعف والتلف والموت؛ فنحن قد قبلنا ميراث الحياة الأبدية والقداسة، بواسطة الروح الذي نفخه الله في جبلتنا، وجدَّده يسوع المسيح في أحشائنا، بالقيامة من بين الأموات، روحاً مستقيماً ومحيياً، روح النبوَّة والعفة، روح القداسة والعدالة والبر.

فإن كنا نئن بسبب ميراث الجسد، فعلينا أن نتشدَّد، بسبب ميراث الروح.

وإن كانت الخطيئة والموت يعملان في أجسادنا، فالحياة والقداسة تسكن الآن أرواحنا.

وإن كان القبر ينتظر الجسد، فالسماء تتلهف لاستقبال الروح.

• • •

فيا روح الله، أبي وجابلي وسيد حياتي، يا مَن كرَّمتِ طبيعتي بقيامة يسوع المسيح من بين الأموات، فأقمتني بقيامته، وولدتني مجدَّداً، لميراث لا يفنى ولا يتدنس ولا يضمحل، محفوظ لي في السماء؛

أظهر حنان أبوَّتك لي،

وحكمة صنعتك فيَّ،

وهيبة سيادتك عليَّ.

اكشف عن عيني لأرى قيامتي بك،

لأتقبل منك ميلادي وميراثي.

* * *

- ١٧ -
فيض الروح

■ **«هأنذا أُفيض لكم روحي. أُعلّمكم كلماتي.»** (أم ١:٢٣)

الصوت هنا صوت الحكمة، وحينما تتكلم الحكمة فالله هو المتكلّم. فالله هو «الحكيم وحده بيسوع المسيح.» (رو ١٦:٢٧)

المسيح هو حكمة الله، وكلمة الله، فالمسيح هو استعلان حكمة الله وعلمه وكلمته: «الله... كلّمنا... في ابنه» (عب ١:١و٢). ولكننا لم نفهم "كلمة الله"، ولا يمكن أن نعرفه إلاّ بعد أن يفيض علينا روحه. وإذ يفيض الله روحه، يُعلّمنا الروح كل شيء، «وأما المعزِّي، الروح القدس، الذي سيُرسله الآب باسمي، فهو يُعلّمكم كل شيء.» (يو ١٤:٢٥)

الله أفاض علينا روحه مرات كثيرة وعديدة، في الخلقة، وعلى جبل سيناء، وبالأنبياء، وعلى العذراء، وفي الميلاد والعماد والقيامة؛ ولكن ليس مثل يوم الخمسين!!

كان يوم الخمسين هو يوم الروح القدس الفريد، الذي فيه انفتحت السماء، وفاض روح الله بغزارة على روح الإنسان الميتة، كما يفيض

المطر على أرض جدباء مُعطشة، فارتوت طبيعة الإنسان من روح الله، وأثمرت معرفةً وحكمةً وقداسةً وبراً إلى مدى الأيام. ومنذ ذلك اليوم، والسماء مفتوحة، ووعد الله قائم إزاء كل بشر. فالبشرية تتجدَّد بفعل الروح، وتغتسل بسرِّ الكلمة، كما يتجدَّد وجه الأرض بأشعة الشمس ورَخِّ المطر!!

وليس جزافاً أن يُقال عن الروح القدس، كما يُقال عن الماء أنه يفيض. فالروح يفيض من لدن الله، كالماء من الينبوع. والفيض في الماء وفي الروح سواء، لا يكون إلاَّ من ملء. لذلك يقول الكتاب إن في المسيح حلَّ كلُّ ملء اللاهوت جسدياً، ومن ملئه نحن جميعاً أخذنا نعمة فوق نعمة.

أما كل مَن يعطش، فعليه أن يأتي إلى ملء المسيح ويشرب، ومَن يشرب من سر المسيح، يرتوي، وتفيض من بطنه أنهار ماء حي. لأنه يستحيل ـ حسب الوعد ـ أن يشرب أحد من روح الله، إلا ويمتلئ معرفة، ويفيض بشارة مُفرحة.

• • •

فيا روح الله، في ذكرى انسكابك يوم الخمسين، لتكميل وعد الآب،
إني آتيك عطشاناً، عطشاناً إليك وإلى معرفتك.
فاسقني كلمة، كلمة الحياة المذخر فيها كل كنوز الحكمة،
أشربها فأشرب سر المعرفة والحق،

فأدخل لُجة الحب الإلهي، حيث الارتواء والامتلاء وسر الفيض.
يا روح الله، يا وعد الآب الصادق،
قلبي اليوم إليك يُصلي، الكنيسة كلها تصلي،
أعلن ذاتك من السماء،
وبث فينا روح قوة "لنتقوّى من ضعف"،
وامنحنا الشجاعة مع
«الذين بالإيمان قهروا ممالك، صنعوا براً، نالوا مواعيد، سَدُّوا أفواه أسود، أطفأوا قوة النار، نَجَوْا من حَدّ السيف، تقوَّوْا من ضعف، صاروا أشداء في الحرب، هزموا جيوش غرباء.» (عب ١١: ٣٣و٣٤)

* * *

- ١٨ -
سُكنى الروح

■ **«لا تطرحني من قدَّام وجهك، وروحك القدوس لا تنزعه مني.»** (مز ٥١: ١١)

يا لها من خطيئة لعينة مُفزعة، أرعبت قلب نبي مختار. فإن كانت المزامير كلها لحن توبة واستغفار، فالمزمور الواحد والخمسون يبرز من دونها جميعاً، كقرار. فخطيئة داود فيه أرهقت حسه، وأذرفت دمعه، وعمَّقت انسحاق روحه حتى التراب.

صادقة هي كلمة الروح، على فم بولس الرسول، ومستحقة كل قبول: إن «كل خطية يفعلها الإنسان هي خارجة عن الجسد، لكن الذي يزني يُخطئ إلى جسده. أم لستم تعلمون أن جسدكم هو هيكل للروح القدس الذي فيكم.» (١كو ٦: ١٨و١٩)

من جهة هذا يصرخ داود، متوجِّعاً، عندما أحس أن الروح القدس لم يَعُد يطيق السُّكنى فيه، وهو يطلب الفراق، ويلح في الخروج من هيكله، بلا عودة. يا له من إحساس مُرعب، عندما يقف الإنسان، في لحظة، وحيداً مطروحاً من أمام وجه الله، بسبب نجاسة الجسد، والروح مزمع أن يُفارق هيكله إلى الأبد.

يا له من ثمن باهظ. أبهذا تُثمَّن خطية الجسد؟ أبهذه النهاية المحزنة تنتهي العشرة مع الله، إزاء لذة ساعة، يصحو الإنسان بعدها، فإذا هو فاقد الوجود في حضرة الله، مطروحاً فارغاً طريداً، يعبث في هيكله روح الإثم، وتتراقص فيه أشباح النجاسة! حقًّا ما أسهل الخطيئة! وحقاً ما أشنع عقابها! إنها كأس سم زعاف، مُذاب في لذة كالسكر، لا يتبيَّن الإنسان منه طعم السم وأثره المدمِّر، إلاَّ بعد أن يسري الموت في الأعضاء.

• • •

فيا روح الله القدوس، يا روح الطهارة والعفة والحياء، أتوسل إليك أن تفتح عيني، لأتبيَّن مواقع موتي وهلاكي، وأُقدِّر خطورة نزلي، وأكشف الفخاخ المنصوبة حولي.

جنِّبني أماكن الخطية، حتى ولو كان فيها ربح حلال، فالمال سيفنى، ولا يبقى بعده إلا الندم.

جنِّبني مواقف العثرة، حتى ولو كان فيها سرور لنفسي، فالسرور ستنطفئ بهجته، ولا يبقى بعده إلا نزيف الضمير.

سلِّحني بمنطق الروح، وإحساس الخلود إزاء سحر الأجساد والعيون، لأُدرك بالحق واليقين، أن التراب حتماً سيعود إلى التراب، والجمال واللذة سراب في سراب.

يا روح الله القدوس، اسكن في قلبي، واختم حواسي، بعهد أبدي، حتى أظل أميناً وفياً على قداسة الدم، الذي سَرَى في جسدي.

✿ ✿ ✿

- ١٩ -
روح الله وبهجة الخلاص

■ «رُدَّ لي بهجة خلاصك، وبروح مُنتَدِبة (رئاسي) اعضُدْني.» (مز ٥١: ١٢)

نحن لا زلنا بصدد مزمور التوبة، أو بالحري مزمور الخطية: "ارحمني يا الله مثل عظيم رحمتك"!!

قد يصفح الله عن الخطية، كوعده للتائبين، وتجف الدموع، وقليلاً قليلاً تزول القطيعة والغربة، التي تكون قد انحدرت إليها النفس بعيداً عن الله، بسبب حماقتها.

بل وقد يحلُّ السلام، وتدخل النفس منطقة الأمان، ولكن أين الفرح؟ أين البهجة الأولى؟ أين التهليل والترنُّم؟ أين الابتسامة العريضة والوجه المضيء؟ أين تعضيد الروح والرأس المرفوعة؟

كلها ضاعت. وقد ذوت النفس، وانحنت على نفسها، وغاب عنها خلاصها، واختفت بهجتها. فهذا هو سر الخلاص الذي تفقده النفس يوم تخلع عنها ثوب طهارتها.

قد يعود الله، ويستر عورتها برحمته، حينما ترتد إليه باكية، وقد يُلبسها أقمصة جلد ليرفع حزنها وعارها.

ولكن، أن تكون عروساً، وأن تتزيَّن بلباس العُرس، وأن تفرح بوجه العريس، فهذا حصيلة أمانة ينبغي أن تُمتحن كل يوم بالنار من جديد!!

ليس كل مَن يسقط ويقوم، يعود إلى بهجته الأولى، إذ بعد التوبة يتبقَّى أمام النفس اختبار الركض في ميدان الطهارة، كل يوم مجدَّداً، حتى يُختَبَر مدى اجتهادها، بل مدى غيرتها، بل مدى صلابتها وعزمها؛ حتى تفوز برضا الحبيب وتعود إلى بهجتها الأولى.

من جهة هذا، يصرخ داود: «**رُدَّ لي بهجة خلاصك**»! وإذ يرى عجزه وتحطُّمه وانكساره، ويرى الميدان طويلاً طويلاً أمامه، والعافية فيه مضمحلة، يصرخ: "**وبروح رئاسي عضدني**"!!

يوجد «روح الحكمة والفهم، روح المشورة والقوة، روح المعرفة ومخافة الرب» (إش ١١: ٢)، ولكن داود يطلب "**روح رئاسي**"، لأن نفسه انحنت فيه حتى التصقت بالتراب، وروحه ذابت في أحشائه، فلم يَعُد يستطيع أن يرفع وجهه أمام مرءوسيه!!

• • •

فيا روح الله، أَعِن توبتي حتى تفوز بتزكيتك،
وانظر إلى حزني وذلي، وامتحن قلبي لعله يصبح يوماً حسب قلبك؛
فأفوز برضاك، وتردّ لي بهجة خلاصك.

○○○